٤ ـ حجة تأريخيـــة

للدكتـــور جواد علي

وتتخذ الصهيونية من الصلات الثقافية التي كانت تربط اليهود على زعمها بفلسطين دليلا على وجوب إحياء تلك الثقافة . ونحن لا ننكر على الصهيونية قولها هذا ولكن الثقافة اليهودية لم تظهر بفلسطين وحدها ولم تقتصر على هذه البقعة فقط . والواقع أن أكثر فصول التوراة كانت قد كتبت في الأرض المقدسة . غير أن قسما من هذه الأسفار التي يتألف منها الكتاب المقدس كان قد كتب ووضع في العراق في إقليم بابل أثناء السبي مثل سفر حزقيال « Egebiel » وربما « مراثي أرميـــاء » « Samentatious » و « التثنية ويشوع كذلك وبعض أجزاء من المزامير »[1] .

ويقوم « التلمود » عند اليهود مقام «الحديث» عند المسلمين وبموجب هذا الكتاب يحكمون . « والتلمود البابلي » «Babli» هو المعول عليه عند اليهود حتى اليوم . على حين أنهم لا يعملون « بالتلمود اليورشلمي » أي التلمود الذي وضع في فلسطين . وضعه أحبار العبرانيين وعلماؤهم في منطقة «طبريا» «Tiberias» على الأخص[1] .

وقد وضع التلمود البابلي في العراق في وادي الفرات وقد اشترك في وضعه وإتمامه جماعة من أحبار بابل استمروا على ذلك حتى أوائل القرن السادس للميلاد . وعلى التلمود البابلي الطابع العراقي الخاص الذي يتجلى في نزعته العقلية الحرة وفي استعمال الرأي والقياس والاستنباط[2] على عكس التلمود الفلسطيني الذي يمثل عقلية الفلسطينيين القدماء في محافظتهم وميلهم إلى الأخذ بالحديث والأخبار . وهذا مما يدل على أن الثقافة العبرانية القديمة التي تريد الصهيونية إحياءها لم تكن ثقافة « عبرانية » خالصة نقية من كل شائبة بل كانت متأثرة بالمحيط . فهي عراقية تمثل

(١) Hastings Dictionary of the Bibli. P. 96

(١) Hastings, P, 891. Bacherin J E. XII. 26

(٢) Hostings. P. 891

ويقال أن السلطان بناه حين شغلته شئونه عن الذهاب إلى المسجد الجامع لكل صلاة .

وفي ساحات القلعة أحواض فسيحة تقوم وسطها مقصورات للجلوس وقنوات من الحجر جميلة يجري فيها الماء رقراقاً . ومنها نهر بهشت (نهر الجنة) وهو يجري على ضفافيه الأزهار والأشجار وفي قاعه صور من الأزهار جميلة تكاد تهتز وتنمو حين يجري الماء عليها . وهذا النهر يبتدىء عند منظرة جميلة مزينة مشرفة عليه وعلى هذا الجمال المفصل في أرجاء القلعة .

ولا أنسى رباعية فارسية رأيتها في إحدى الحجر وأعجبني موضعها بين هذا الجلال والجمال . فأردت إثباتها فلم أجد قلمي . ولم يكن لي بدّ من نقلها فقلت لرفيق الأستاذ اشتياق حسين عميد كلية الآداب بجامعة دهلي وقد تفضل باصطحابي في زيارة القلعة :

سأكلف نفسي ، وأمتحن ذاكرتي بحفظ هذه الرباعية ... فوعيتها حتى رجعت إلى الفندق فكتبتها وهي :

أي پای ببندو قفل بر دل هشدار — دو خته چشم و پای در گل هشدار
عزم سفر مغرب وروی در مشرق — أي رآه رویشت بمنزل هشدار

وترجمتها : يا من في رجليه قيد وعلى قلبه قفل انتبه ، يا من أغمض عينه وقد وحلت رجله انتبه ، تريد السفر إلى المغرب ووجهك إلى المشرق أيها السائر وظهره إلى الغاية انتبه

هذه بقايا مما وعيت من هذه الآثار الجليلة الجميلة في زيارتي القصيرة ، وقد بقيت في النفس كما تبقى أبيات وأشطار وقوافٍ من قصيدة بليغة حفظت ثم نسيت ، أو كما تبقى الصور مبعثرة بعد حلم جميل طويل ، أو كما تضطرب في النفس ذكريات السعادة بعد انقضائها .

ومن شاء أن يعرف تفصيل هذه الأبنية وصورها ففي كتب الآثار وصفها وتاريخها وصورها . ومن شاء أن يستمتع بها رأى العين فليس عجيباً أن يذهب إلى الهند ليراها

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

عقلية العراقيين فى العراق وهى فلسطينية تمثل عقلية سكان فلسطين فى فلسطين وهى مصرية تمثل طبع قدماء المصريين فى مصر .

ثم إن الكتب الخمسة الأولى من التوراة وهى التى يقال لها « أسفار موسى » وهى التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية » كانت قد نزلت على موسى وموسى لم يكن قد دخل فلسطين[1] فتكون هذه الكتب قد نزلت خارج الأرض المقدسة

وقد جاءت فى الكتاب المقدس بعض الاصطلاحات والكلمات الآرامية التى تدل على تأثر العبرانيين بهذه اللغة التى أصبحت اللغة اليومية لليهود منذ أيام السبى ، والتى حلت محل « العبرانية » التى هجرها سواد الشعب وفضل الآرامية عليها ، فاقتصر أمرها على رجال الدين وطبقة الكهنوت فقط وقد ترك الشعب اليهودى العبرانية مختاراً مفضلا « السريانية » لغة الثقافة التى شاعت فى كل أنحاء الهلال الخصيب حتى أن أسفار العهد الجديد القديمة كانت قد دونت بهذه اللغة .

وقد استعمل علماء اليهود ومثقفوهم هذه اللغة فى كتاباتهم كما استعملوا بعد ذلك اللغة اليونانية التى دخلت إلى فلسطين وسوريا مع اليونانيين فألف بهذه اللغة المؤرخ اليهودى « يوسفوس » « جوزيفوس » « Josephus Flavius » المتعصب لقوميته وهو من مواليد القدس فى القرن الأول للمسيح والذى خلد تاريخ قومه فى كتبه المهمة التى ألفها في تاريخ « الآثار اليهودية » و « الحروب اليهودية » والذى يعود إليه الفضل فى أكثر ما نعرفه عن تاريخ اليهود مما لم يرد فى التوراة إلى القرن الأول للمسيح . لم يجد هذا المؤرخ اليهودى المتعصب لقوميته غضاضة من استعمال اللغة اليونانية فى تدوين تاريخ قومه ، مما يدل على أن العبرانيين لم يكونوا يستعملون تلك اللغة إلا بصورة محدودة ضيقة ، وعلى أنهم لم يكونوا يعنون بها العناية اللازمة ، وأنهم لم يكونوا يعتبرونها لغة ثقافة أو لغة أدب وكتابة وإنما هى لغة دين ، على عكس ما يدعيه الصهيونيون فى دعواهم الحديثة .

وقد استخدم اليهود بعد انتشارهم فى الأقطار الخارجية اللغات المحلية ، حتى فى الشروح الدينية والتفاسير فكتبوا باليونانية واللاتينية والعربية فى القرون الوسطى ولا سيما فى الأندلس حيث كانوا يكتبون كتبهم باللغة العربية ولكن بأحرف عبرية كالذى فعله الفيلسوف اليهودى موسى بن ميمون ، مما يدل على أن

(١) Hastings, P. 97.

العبرانيين كانوا يفكرون فى كل مكان نزلوا به بعقلية ذلك المكان ولو جمعنا ما أنتجه العقل اليهودى منذ أيام السبى لوجدنا أن اليهود كانوا قد ساهموا فى الثقافة العالمية جماء فكونوا ثقافات مختلفة وكانت لهم ثقافة دينية هى الثقافة التى كونها الأنبياء وشراح التوراة والتلمود ومعنى هذا أن الثقافة اليهودية كانت ثقافة عالمية ولم تكن ثقافة إقليمية اقتصرت على فلسطين ، وأن من الممكن لليهود تكوين ثقافة يهودية فى الأقطار التى يسكنون فيها على نحو ما هو جار فى الوقت الحاضر .

وقد ذكر المؤرخ اليهودى « سيمون دبنوف » « Simon Dabnow » وهو أعظم المؤرخين المحدثين على الإطلاق أن اليهود كانوا قد تأثروا إلى حد كبير بثقافة البابليين وأن فى الكتاب المقدس فصولا كثيرة أخذت من الثقافة البابلية[1] كما يظهر ذلك من المقارنة بين الكتابات المسمارية وما ورد فى التوراة[2] .

ظل اليهود يغادرون فلسطين للسكنى فى الخارج فى أيام الفرس وفى أيام اليونانيين والرومان وعلى الرغم من الحركات اللاسامية التى كانت تظهر فى الأمبراطورية البيزنطية الرومانية فإن اليهود فضلوا البقاء فى الخارج . ولم يظهروا أي رغبة فى العودة إلى هذه الأرض . ولم يبق فى فلسطين فى العصور المسيحية غير بعض الجاليات التى سكنت فى منطقة الجليل و « طبرية » على الأخص . ومما يلاحظ أنهم ساعدوا الجيش الفارسى الذى جاء سنة ٦١٤ للميلاد لفتح سوريا وفلسطين ولطرد اليونانيين . فساعدوهم فى فتح القدس وفى مقاتلة إخوانهم المسيحيين الذين كانوا من اليهود قبل نشر الدعوة المسيحية .

ولم يترك كتاب اليهود من بعد « يوسفوس » أى أثر يشير إلى وجود جاليات يهودية كبيرة فى فلسطين ، ولما فتح الفرس فلسطين وعذبوا المسيحيين وأخذوا معهم الصليب المقدس وساعدوا الجاليات اليهودية الصغيرة التى كانت هناك لم نسمع من أخبار اليهود فى الأراضى المقدسة ما يدل على أنهم كانوا أصحاب كلمة مسموعة وأن عددهم كان محسوساً بينما كان عددهم كبيراً فى روما وفى قرنسا وفى المدن اليونانية والمصرية وكانت حالتهم المالية حسنة جداً كذلك .

(١) Simon Dubnow, weltgeschichte. des Judischen. Nolkes. Bd. 1. S . 3 oo

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٤٧ .

Sofor 281 — 262

ولما استعاد القيصر هرقل « فلسطين » من أيدى الفرس لم تبق فى أيدى الروم أمداً طويلا إذ ضجر سكانها من حكم اليونان وفاوض العرب النصارى المسلمين لتخليصهم من أيدى المستعمرين وقد كانت غالبية السكان فى هذا العهد من القبائل العربية المتنصرة مثل جذام وكلب وقضاعة ولخم وغسان وكانت مخيمة ومستقرة فى كل أنحاء سورية كذلك(١) .

وقد فصلت كتب « المغازى والفتوحات » كيفية دخول الجيوش الإسلامية أرض فلسطين وكيف سلم « بطريرك » القدس مفتاح المدينة إلى الخليفة عمر صلحاً . ولم تشر إلى اليهود مما يدل على أن الأراضى المقدسة كانت خلواً منهم ، وهناك إشارة مهمة وردت فى كتاب « ثيوفانس » « Theophane. » وهو من خيرة الكتاب اليونانيين المطلعين على شؤون فلسطين فى هذا العهد وهى ضد مزاعم الصهيونيين تماماً . إذ يقول هذا الكاتب الذى عاش فى هذا العصر « لم تكن حكمة الخلفاء هى التى فتحت أبواب سوريا وفلسطين لجيوش المسلمين بل المسيحيين العرب الذين كونوا قوة عظيمة تقدمت فى طليعة الجيوش الإسلامية تقاتل الجيوش اليونانية مع أنها كانت تدين مثلها بنفس الدين »(٢) .

وليست لدينا معلومات حسنة عن علاقات الرسول بهذه القبائل ، والظاهر أنها كانت سيئة فإن معركة « مؤتة » تشير إلى أنهم كانوا يحاربون إلى جانب البيزنطيين(٣) .

غير أن الأوضاع تبدلت فيما بعد منذ معركة « تبوك » فانحازوا إلى جانب إخوانهم فى الجنس المسلمين وصاروا يقاتلون إخوانهم فى الدين البيزنطيين .

وقد أظهر الآراميون وطنية عظيمة وحماسة كبيرة للجيوش الإسلامية ، فإنهم ساعدوهم مساعدة كبيرة ، وحاربوا فى صفوفهم مع أنهم كانوا من المسيحيين .

وقد ذكر « البلاذرى » أن المسلمين حينما حاصروا « قيصرية » وكان سكانها من السامريين وهم فرع من أصل يهودى ولكنهم يختلفون عن سائر اليهود ويكرهونهم خرج يهودى كان يقيم فى المدينة واسمه « يوسف » إلى المسلمين وأرشدهم إلى موضع نفق سرى يؤدى إلى المدينة فدخل منه المسلمون .

(١) Becker islam Studien Bol 1 , S , 80

(٢) Becker islam vol, 1. S, 80

(٣) نفس المصدر ص ٨٧ .

وقد أسلم من أسلم من أهل فلسطين وظل من أراد الاحتفاظ بدينه وقد عاملهم المسلمون معاملة حسنة وعاشوا مع المسلمين إخوانا وأعواناً حتى أنهم اشتركوا معهم فى محاربة « الصليبيين » وقد لاحظ العالم المتخصص بفلسطين « جيمس فرازر » أن ملامح الفلسطينيين القدماء الذين كانوا يقطنون هذه البلاد قبل مجىء العبرانيين لازالت ظاهرة على الفلاحين المسلمين والمسيحيين على حد سواء وإن هؤلاء الفلاحين هم من أقدم السلالات البشرية التى كانت تقيم فى الأرض المقدسة وهم أنفسهم الذين يحاربون الصهيونية فى الوقت الحاضر دفاعاً عن أرضهم وأملاكهم .

وعندما استولى الأسبان على أرض الأندلس وأجبروا المسلمين واليهود على حد سواء على اعتناق النصرانية أو مغادرة البلاد فضل أكثرهم الهجرة إلى فرنسا وإيطاليا وشمال إفريقية ولم يذكر منهم أى أحد أرض فلسطين ولو كان اليهود يعطفون على الوطن القومى وعلى إعادة ملك سليمان لكانوا قد فضلوا الذهاب إلى أرض « الميعاد » حيث كانوا يعيشون عيشة راضية . ثم لقد كانوا يعلمون أن أرض فلسطين هى أرض مقدسة كما هى أرض المسيحيين المقدسة وأرض المسلمين . ولكنهم لم يكونوا يشعرون بهذه القومية الاعتدائية المتطرفة التى دعا إليها الصهيونيون .

جواد على

إعـــلان

تنوى وزارة الخارجية عقد مسابقة لاختيار مرشحين من ذوى المؤهلات الجامعية لوظائف ملحقين من الدرجة الثانية فى السلك الدبلوماسى وسكرتيرين فى السلك القنصلى فى اكتوبر القادم .

وسيمتحن مقدمو الطلبات تحريريا وشفويا — والشروط التفصيلية بالوزارة .

فعلى راغبى الالتحاق بهذه الوظائف التقدم بطلباتهم للوزارة على الاستمارة رقم ١٦٧ ع . ح . ٧٨٦٣